١٣ — صور ذكريات في بلاد النوبة :

النهضة التعليمية في النوبة

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لعلك تعجب إذا علمت أن منطقة النوبة الآن من المناطق المصرية ، التي ارتفعت فيها نسبة المتعلمين إلى درجة عظيمة ، لم تصل إليها كثير من بلدان الوجه البحري ، وأن الجيل الحديث من النوبيين كله متعلم مائة في المائة تقريباً .!!

ومن النادر أن تجد صبياً لا يذهب إلى المدرسة ، يتلقى العلم في شغف وتواضع وطاعة محببة إلى النفوس . وبخاصة نفوس الآباء والمدرسين . . وإذا كنا نرى كثيراً من الصبية يهربون من المدارس في مدننا وريفنا ، وأن كثيراً من الآباء وأولياء الأمور يعملون الحيلة للتخلص من إرسال أولادهم إلى المدارس في الريف ، ليساعدوهم في الحقل ، ويعاونوهم في الحرث والري والحصاد .. وقديما لهم من جراء ذلك كثير من الغرامات المالية فلا يبالون بها ، ولا تردعهم عن مخالفتهم وتهربهم من العلم ، وفرارهم من التعليم ، وعزوفهم عن المدارس مع ما فيها من خير كثير . . إذا كنا نرى هذا ، فلن نجد لهذه الظاهرة أثراً في النوبة على الإطلاق ، بل على العكس من ذلك ، نرى التزاحم الشديد ، والإقبال العجيب ، والتنافس في الالتحاق بالمدارس على اختلاف أنواعها . وشتى ضروبها ، مما يثير في النفس عوامل الدهش والارتياح ، والفرح والانبساط ، ولعل هذا راجع إلى أن أولياء الأمور في النوبة أدركوا الآن قيمة العلم ، وأثر التعليم في تهذيب النفوس ، والحصول على المراكز السامية ، والمناصب الرفيعة ، وأنه الطريق الوحيد لسعادة أبنائهم وذراريهم ، وأنهم لا يحتاجون إلى مجهود أبنائهم المتقبل ، كما يحتاج إلى ذلك المجهود أولياء الأمور في الريف المصري في غير منطقة النوبة ...

والمدارس في النوبة أنواع كثيرة ، تدعوا إليها الحاجة ، وتتطلبها البيئة القاسية ، مما لا تتوفر في كثير من المناطق المصرية ، فمنها :

١ — قسم ثانوي في عنيبة لم يكمل بعد ، ويأمل النوبيون في وزير العلم ، أن ينمو هذا القسم نمواً مطرداً يناسب نهضة البلاد ، وإقبال أهلها على التعليم الثانوي خاصة ، ولتكن مدرسة فاروق الأول الثانوية ، قائمة في عنيبة بجانب أختها مدرسة فؤاد الأول الابتدائية ، وهذه أمنية غالية ، يعتز بها كل نوبي ، ويبني عليها قصوراً من الآمال ، ويتمنى أن تتحقق لتكفيهم مشقة الجهد ، والانتقال من بلادهم إلى مختلف البلدان وعواصم الأقاليم المصرية ، حيث توجد المدارس الثانوية التي تتطلب كثيراً من النفقات وتبعد هذا الجيل الجديد عن موطنه الأصلي . وهو لا يزال في حاجة ماسة إلى الرقابة الشديدة في هذه السن ، سن المراهقة ، وتطلق له الحرية في بيئة يسهل فيها الفساد واللهو ، ولهذا ينحدر كثير منهم إلى هوة الفساد والضلال ، مما يبعد به عن الغاية التي يهدف إليها ، وينصرف به عن البحث والدرس والتحصيل ...

٢ — مدارس ابتدائية : واحدة في عنيبة تضم خمسمائة تلميذ تقريباً ، ويشترك فيها البنون والبنات بلا تفرقة ، وأخرى في الدكة ، وثالثة في قورته . وقد جاهد الأهلون جهاداً عظيماً في سبيل إنشاء هاتين المدرستين الأخيرتين ، وقد أنشأت الوزارة مدرسة الدكة سنة ١٩٤٧ ، وسرعان ما قامت قيامة أهل قورته فبذلوا مجهوداً مشكوراً إن دلّ على شيء . فعلى روح التنافس ، وتوّج أخيراً بإنشاء مدرسة قورته في العام نفسه على أن يكون ذلك بمثابة تجربة ، ولتبقى في النهاية على المدرسة التي تثبت وجودها بكثرة ما فيها من التلاميذ ، وذلك لأن المسافة بين قورته والدكة حوالي سبعة أميال فحسب . ومن الغريب أن أقبل الأهلون على كلتيهما ، بحيث أصبح في كل منهما ثمانون ومائة تلميذ تقريباً ، ولهذا ستضطر الوزارة دون ريب للإبقاء على المدرستين كلتيهما ...

ويأمل النوبيون أن يتم إنشاء مدرستين أخريين ، أولاهما في المركز الأصلي ، وهو الدر ، احتفاظاً بما كان له من مكانة ، وإحياء للمدرسة التي كانت به ، وهي أول مدرسة في النوبة بأسرها .. والأخرى في بلانة ، لما لهذه البلدة من مكانة زراعية ولما فيها من مشروعات كثيرة ، أدّت إلى ازدحامها بالسكان ،

مما يعطيهم هذا الحق ، ويجعل إنشاء مدرسة ابتدائية فى بلدتهم من أوجب الواجبات ، وبخاصة وأنها ليست أقل شأناً من الدكة أو قورته ، بل أعظم منهما شأناً ، وأرفع قدراً . . !

واقد بذل الأهلون فى سبيل ذلك جهوداً موفقة طوال هذا العام ، وإذا تم لهم هذا أصبح فى منطقة النوبة مدرستان ابتدائيتان فى القسم الشمالى ، هما قورته والدكة . ومدرستان ابتدائيتان فى القسم الجنوبى هما الدر وبلانة ، ومدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية فى عنيبة ، وبهذا تضمن النوبة تعليم أبنائها فى المحيط الذى تحبه وتؤثره وترتضيه ، إلى سن تؤهلهم بعد هذا للتعليم الجامعى والعالى ، ولا تخشى عليهم انحرافاً عن الغاية ، ولا بعداً عن القصد . .

٣ — مدارس أولية : يشترك فيها البنون والبنات ، والتعليم فيها كالابتدائى ، نظام كامل طول اليوم ، أى قبل الظهر وبعده بيد أنه ليس فى مواده لغة أجنبية . وهذه المدارس بعضها تابع لوزارة المعارف ، وهما مدرستا ، عنيبة ، وبلانة الجديدة . والبعض الآخر وعدده تسع وعشرون مدرسة ، تابع لمجلس مديرية أسوان ، وهى مدارس : (قسطل ، بلانة ، توشكى شرق والجنينة ، عنيبة بحرى ، إبريم ، عانية ، توماس قبلى ، الدر ، الديوان ، كرسكو ، شاترمه ، وادى العرب بحرى ، السبالة ، قورته ، العلاقى ، الدكة ، تشتمنة غرب ، وتشتمنة شرق ، جرف حسين ، مارية ، مرواو شرق ، مرواو غرب ، أبو هور ، كلابشه ، الأمبركاب ، دهميت شرق ، دهميت غرب ، دابود)

٤ — مدارس إزامية : يتعلم فيها بعض التلاميذ نصف اليوم وبعضهم فى النصف الآخر ، وكل هذه المدارس تابعة لمجلس مديرية أسوان ، وليس فيها واحدة تابعة للوزارة ، وهى اثنتا عشرة مدرسة فى البلاد الآتية : أدندان ، أبو سمبل ، أرمنا ، توشكى غرب ، مصمص ، توماس بحرى ، أبو حنضل ، المالكى ، وادى العرب قبلى ، المضيق ، المحرقة ، قرشة .

٥ — ملحقان ، أحدهما فى كرسكو ، والآخر فى مرواو غرب . .

٦ — أقسام تحفيظ للقرآن الكريم : وهى تابعة لمجلس مديرية أسوان كذلك ، وهى ثلاثة أقسام ، أولها تابع لمدرسة أدندان ، والثانى تابع لمدرسة المالكى ، والثالث تابع لمدرسة توشكى غرب .

وما أحوج بلاد النوبة إلى الإكثار من هذه الأقسام ، لإقبالهم عليها إقبالا كبيراً ، وهم يقدسون كتاب الله تقديساً ، ويرتلونه ترتيلا يبعث الخشية فى القلوب ، والرهبة فى الصدور ، ويملك على الإنسان مشاعره وحواسه ، ولهم فى تلاوته روحانية تسمو بالسامع إلى مراتب نورانية من الإيمان والخشوع والطاعة والخضوع . .

٧ — مكاتب إعانة : تعينها الوزارة ، فتعطى المدرس عن التلميذ الواحد عشرين قرشاً ، أو ثلاثين ، أو أربعين ، وهى سبعة مكاتب : القصيرى بأبى سنبل ، نجع حميدى بأبى سنبل ، نجع الجلاب ، نجع الخفير ، الزيداب ، البقعة ، وادى السبالة . وهذه المكاتب تؤتى أكلها فى كثير من البلدان ، وذلك لأن المدرسين يبذلون جهداً مشكوراً فى جلب التلاميذ من كل حدب وصوب ، لما ينالهم من نفع عاجل ، وخير قريب ، فهذا النوع بالنسبة لمدرسى المدارس الإزامية والأولية ، يشبه الدروس الخصوصية ، بالنسبة لمدرسى المدارس الابتدائية والثانوية ، فهو إذن نوع من التعاون بين المدرسين وتلاميذهم . . !!

٨ — مكافحة الأمية ، وهى نوعان (ا) أقسام مسائية مقرها المدارس ، وتقبل التلاميذ ابتداء من سن الثانية عشرة شا فوقها ويتقاضى المدرس جنيهين فى الشهر ، ويتقاضى الرئيس جنيهين ونصف جنيه فى الشهر ، والإقبال عليها منقطع النظير ، فإذا جن الليل تقاطر الرجال والشبان والشيوخ إلى هذه الأقسام فرحين مغتبطين يتلقون العلم ، ويتعلمون مبادئ القراءة والكتابة ، وفى النهار تجدهم منكبين على كتبهم وكراساتهم ، يعيدون ما درسوا ، ويتفهمون ما أخذوا ، وقليل من إخلاص المدرسين ونشاطهم ، يجعل أهل هذه المنطقة فى درجة عظيمة من العلم والمعرفة . .

وهذه الأقسام فى البلاد الآتية : أدندان ؛ بلانة القبلية ، بلانة الجديدة ، أبو سنبل ، أرمنا ، توشكى غرب ، عنيبة الأولية إبريم عانية ، توماس قبلى ، توماس بحرى ، الديوان ، شاترمه ، وادى العرب قبلى ، قورته ، العلاقى ، جرف حسين .

(ب) مكاتب إعانة لمكافحة الأمية ، وليس مقرها المدارس